عنوان المحاضرة: مدخل إلى الآداب العالمية

المحاضرةرقم: 1

عنوان المحاضرة : مدخل إلى الآداب العالمية

توطئة :

تعد مادة الآداب العالمية المعاصرة من المواد التي تترك في الدارس لها تأثيرا كبيرا ليس بسبب الكم المعرفي الذي يحصل عليه هذا الأخير، ولا بالآفاق التي تفتحها أمامه هذه الآداب، وإنما من خلال إنفتاحه على الأخر وخروجه من شرنقته، بعد أن كان منطويا على نفسه ومتشبثا بتراثه القديم، جاهلا بكل ما أنتجته العبقرية البشرية في مجال الأدب.

وقد جاءت تسمية هذه المادة حاملة لمفردات ثلاث : الآداب، العالمية والمعاصرة،والآداب جمع أدب وهو« علم يقصد به الإجادة في فني المنظوم والمأثور على أساليب العرب ومناحيهم ...»[1] أما في العصر الحديث فإن الأدب« علم يشمل أصول فن الكتابة، ويعنى بالآثار الخطية، النثرية والشعرية، وهو المعبر عن حالة المجتمع البشري، والمبين بدقة وأمانة عن العواطف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارات .... »[2]أما العالمية فمن العالم وهو كل نوع من أنواع الخلق، فنجد عالم الإنس وعالم الجن وعالم النبات ...وأما المعاصرة فجاءت من الفعل عاصر،وتعني هذه المفردة في السياق الذي جاءت فيه، كل الكتابات الأدبية ذات الصلة بالعصر (الذي كتبت فيه).

تعد الآداب العالمية محطة مفصلية في حياة كل باحث ودارس للأدب، وجسرا منه يعبر إلى الآخر مؤثرا فيه ومتأثرا به، وفي هذا الشأن يقول طه حسين " والأدب بطبيعته شديد الحاجة إلى المقارنات والموازنات، وليس من سبيل إلى التعمق في الأدب على هذا النحو إلا إذا كان الطالب قد تمكن من هذه الثقافة المتينة الواسعة العميقة، وكيف السبيل إلى درس الأدب العربي إذا كان

---

[1]-جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1984، ص316.

[2]-المرجع نفسه، ص341.

الطالب يجهل آيات الأدب الأجنبي قديمةوحديثه، هذه الآيات التي أثرت في حياة الإنسانية كلها... ولقد يكون من العسير أن تجد في مصر شيخا من شيوخالأدب قد قرأ هوميروس homère أو سوفو كل Sophocle، أو أريستوفانAristophane، فضلا عن شكسبير Shakespeare، أو تسلتوtolstoi، أو إبسن Ibsen، ذلك عسير إن لم يكن مستحيلا ".[3]

إن الحاجة إلى دراسة هذه الآداب والتعامل معها بعقلية منفتحة ومتعطشة للمعرضة، أمر لا مناص منه إذا ما أردنا لأدبنا العربي أن ينمو ويتطور ويساير ركب لآداب العالمية.

1- الآداب العالمية المعاصرة : قراءة في المفهوم

ظهر مصطلح الآداب العالمي (worldlitérature)Littératuremandialeمع الألماني يوهان فولفغانغ فان غوتة

وقد دعى غوتة إلى تجاوب الآداب العالمية فيها بينها، وحينئذ" لن تلبث أن تتوحد جميعا Yohan Wolfgang Vongoetheفي أجناسها وأصولها الفنية وغاياتها الإنسانية، بحيث لا تبقى من حدود سوى حدود اللغة، وما يمكن أن توحي به البيئة أو الإقليم" [4] لكن الباحث المصري محمد غنيمي هلال ينتقد هذه الرؤية لمفهوم الأدب العالمي معتبرا أن " فكرة الأدب العالمي مستحيلة التحقيق، ذلك أن الأدب قبل كل شيء استجابة للحاجات الفكرية والاجتماعية للوطن وللقومية، وموضوعه تغذية هذه الحاجات ، فهي محلية موضوعية أولا (كاتب أمريكي في تاريخ الأدب)وهي تشف حتما عن غايات عالمية " [5]وهذا هو المقصود بعالمية الأدب La mondialité de la littérature بحسب محمد غنيمي هلال من خلال عملية التجاوز التي تقوم بها الآداب الوطنية والقومية للحدود اللغوية والقومية إلى الأعمال والإبداعات العالمية لتأخذ منها أو تعطيها في عملية تأثر وتأثير متبادلة وهي ظاهرة عامة بين الأدآب، وهو مفهوم يتعارض تماما مع مصطلح الأدب العالمي الذي يكرس فكرة اتحاد مختلف الآداب في أهدافها وغاياتها ومذا هبها وأجناسها وأصولها الفنية في أدب عالمي واحديعقبه حتما نقد واحد وهذا ضرب من ضروب المستحيل كما أشار إلى ذلك المقارن المصري محمد غنيمي هلال .

فيما يرى " دفيد داموش " أن عالمية الادب هي نوع من القراءة المعدلة لشكل خاص من حركة النصوص إن الأدب العالمي هو في البدءذلك التوتر الحاصل بين السياق الأصلي وسياق القراءة (خارجي) ، ثم هو بد ذلك تجاور وعبور لهذه الهوة الثقافية بطريقة سلسلة بواسطة الترجمة " [6]

---

[3]- طهحسين، فيالأدبالجاهلي،ط3،مطبعةفاروق،القاهرة،مصر،1933،ص 14 .

يوهان فولفغانغ فانغوتة: (Yohan Wolfgang vongoethe1749-1832) روائيومسرحيورجلدولةوأحدمنظريالأدب،تعزى شهرتهلروايته الشهيرة،الأمالشاب قرثر" Les souffrances du jeune werther

[4]- محمد غنيمي هلال، الادب المقارن، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص93.

[5]-المرجع نفسه، ص93.

[6]-ترجمة الباحث.

« La mondialité de la littérature pour Damrosch est un mode de lecture ajusté à une forme spécifique de circulation des textes. La littérature mondiale est d'abord caractérisé par sa tension entre un contexte d'origine (nationale) et un contexte de lecture (étranger), la littérature mondiale ensuite, franchit ce fossé culturel de façon avantageuse… elle gagne à être traduite »[7]

أما المقارن الفرنسي " روني إتيامبل " René Etiemble فيرى أن الأدب الأوروبي حتى لا نتكلم عن الأدب الغربي عموما، ليس هو الادب العالمي ولا يمكن أن يكون كذلك، لقد دافع بشراسة عن آداب دول الهامش محاولا عبر مسيرته البحثية الطويلة، تقويض فكرة المركزية الاوروبية التي لطالما حاولت ايهام العالم بأن الأداب الأوروبية ما هي إلا الوجه الآخر للأدب العالمي ليس إلا، معتبرة الأدب الأوروبي هو أدب الأسياد فيما أدب باقي الأمم هو أدب العبيد. و قد دعا كل من كارل ماركس karl marxوفريديرشانجلزFriedrich engels الذين يعدان الركنين الركينين، والمرجعية الفكرية والإيديولوجية للاشتراكية، إلى إحلال الأدب العالمي محل الأدب القومي، وهو أدب تسيطر عليه الطبقات الكادحة. وعملت المدرسة النقدية من جهتها، على دراسة الآداب دراسة نقدية من دون التقيد بالحدود اللغوية والثقافية للآداب وهي في ذلك تنطلق من حقيقة الظواهر الادبية الكبرى كالأجناس والتيارات الأدبية لا تنحصر في أدب قومي واحد، بل تتعداه إلى آداب مختلفة ، وقد تكون عالمية الامتداد.

إن الحديث عن الآداب العالمية، يجرنا حتما إلى الحديث عن آداب أخرى ذات صلة وثيقة بهذه الآداب، ومتاخمة لها كالأدب القومي والأدب المقارن.

2– الأدب القومي :

شهدت عشرينيات القرن الماضي حركة فكرية مست وعي الجماعات والشعوب، خاصة تلك التي كانت تقبع تحت هيمنة القوى الاستدمارية، وقد رشح عن هذا الوعي من الناحية الأدبية ظهور أدب وسم بالقومى عمل على التعبير عن آلام الامة وأمالها، عن انكساراتها وعن تطلعاتها، عن أفراحها وعن أطراحها ، وقد عرف الباحث عبد النبي اصطيف هذا الأدب بقوله إنه: "الأدب الخاص بجماعة بشرية تنضوي تحت راية هوية جمعية محددة من مثل القوم أو الشعب أوالأمة ، أو الاثنية، وينتج عادة بلغة هذه الجماعة التي ترى فيها لغة أما تجمع بين أفرادها وتوحدهم تحت رايتها باتخاذها أداة تفكير وتعبير وتواصل فيها بينهم " [8]

إن الأدب القومي حاجة انسانية ملحة لما يلعبه من دور محوري في تشكيل الوعي بالهوية الأدبية، ومن ثم تأكيد ملامح الهوية الوطنية في مواجهة الحضور المهادن أو العدائي والمستفز أحيانا للاخر للأخر، وهو من جهة أخرى الركن الركين الذي تستند عليه الدراسات المقارنة في علاقته بالأداب العالمية .

---

[7]– Jérome david, propositions pour une macrohistoire de la littérature mondiale,books.openédition.org/puv/5978? 23/08/2022 à 13h15mn..

[8]– عبد النبي اصطيف، مفهوم الأدب القومي، مجلة جامعة دمشق ،دط ، المجلد34، العدد الأول، 2018،ص11.

إن هذه التحديدات الاصطلاحية لمفاهيم الأدب القومي والأدب العالمي والأدب المقارنأو الأدب العام ليست حدودا فاصلة ولامتاريس مانعة لتلاقي هذه المفاهيم في فضاءات معينة، ولا هي تحديدات يقينية ذاتية، قثمة أسئلة تحتاج إلى إجابات، أسئلة من قبيل " لماذا لا ينتمي جولد سميث **Goldsmith** وسترن **sterne** وشريدان sheridanللأدب الاير لندي، بينما ينتمي إليه ياتس**yeats**وجويس**joyce** ؟ هل هناك آداب بلجيكية وسويسرية ونمساوية مستقلة ؟ من الصعب أن نحدد النقطة التي عندها توقف الأدب الذي كان يكتب في أمريكا عن أن يكون أدب مستعمرات وأصبح أدبا قوميا مستقلا، هل هي مجرد حقيقة الاستقلال السياسي؟ هل تحدد بالوعي القومي والكتاب انفسم؟ هل هي ورود الطابع المحلي ؟" [9]

3– الأدب المقارن :

يعود أول ظهور لمصطلح الأدب المقارن إلى القرن التاسع عشر، وتعد فرنسا هي مهد هذا العلم، يتناول هذا الفرع من فروع المعرفة الموازنة والمقارنة بين الأعمال الأدبية القومية، بين نظيراتها العالمية ، وقد عرف محمد غنيمي هلال الأدب المقارن بقوله أنه" أدب يدرس مواطن التلاقي بين الأداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة والمعقدة، في حاضرها أو في ماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر أي كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر " [10]

إن هذا المفهوم للأدب المقارن يشير إلى أنه يهدف إلى أن تكون هذه المقارنة كاشفة لفضاءات التلاقي والاختلاف بين هذه الآداب، ومحاولة فهم العوامل التي تقف وراء ذلك، ولأجل ذلك يجب على كل من يتبوأ هذه المنزلة أن تكون له عقيلة مقارنية لأن العمل في هذا المجال يتطلب ذلك : "تستدعي التعليقات في الأدب العام والمقارن عقلية مقارنة بمنأى عن مسألة التعالق والتشابه "[11]

« Le commentaire de littérature générale et comparée appelle d'abord un esprit (esprit comparatiste) à l'affut du rapport, de l'analogie, amoureux de la comparaison »[12]

كما انه من صميم مهماته الوقوف في مناطق الالتقاء أو الحدود المشتركة بين مختلف الأداب القومية محاولا رصد حركة هذه الأعمال الأدبية والصلات التي تربط بينها أن وجدت، بالإضافة إلى وجوب تمكنه من ناصية اللغات المنقول منها والمنقول إليها حتى لا تضيع منه ما تحمله تلك الإبداعات من معان.إن الأدب المقارن "يحتاج إلى ثقافة واسعة وخبرة كبيرة بتاريخ الأمم والشعوب والآداب ومقدرة فائقة على إنذار سنة لمعرفة أوجه التأثر والتأثير بين الآداب العالمية" [13]

---

[9]– رينيه ويليك واوستن وران، نظرية الأدب، تر : عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، م ع السعودية ، 1992، ص 74، 95.

[10]–محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، 2001

[11] - ترجمة الباحث.

[12] - Pierre brunel et Jean marc moura , le commentaire de la littérature générale et comparée, Armand collin, France, 1998, p:209.

[13]– محمد رمضان الحربي، الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001،ص12.

إن فكرة التأثير والتأثر التي يتيحها الأدب المقارن هي فضاء وحيز مهم للتنافس والحيوية والأخذ والعطاء، وهي من ثمة حافز مهم لتطور الآداب القومية، فهو في الغالب يبحث في العلاقة الثنائية بين أدبين قوميينبغض النظر عن طبيعة هذين الأدبين (نوعا أدبيا،مذهبا فكريا...) الشيء الذي يجعل من مجالات البحث في هذا الأدب تتسع باستمرار (الكتب، الكتاب، الترجمة والمترجمون، الوسطاء، الرحلة، الرحالة...) ومن هنا تبرز أهمية الأدب المقارن ودوره في توسيع الأفاق الأدبية الإنسانية من خلال أمرين إثنين :

" أولهما الدور الذي يلعبه في الأدب القومي، حيث يضيف إليه المزيد مما يتجاوز حدوده، مؤثرا أو متأثرا، ثانيهما أن يكون طريقنا إلى معرفة إنسانية شاملة تتجاوز الحدود القومية، وتكون الطريق إلى تأريخ أدبي عالمي لما يكتب ..." [14]

4- الأدب العام :

يعود أول ظهور لمصطلح الأدب العام إلى بدايات القرن التاسع عشر " ففي عام 1817 نشير "نيبو ميسين ليمر سييه" محاضراته تحت عنوان : دروس تحليلية في الأدب العام ، اهتم فيها بالأجناس الأدبية وتطورها، ورسم لوحة شاملة أرخ فيها لأكثر الآداب العالمية شهرة "[15] كما كانت لإسهامات الانجليزي "جيمس مونتجومري" والألماني " هرمان هنتر" والفرنسي " بول هازار" دورا بارزا في بلورة هذا العلم الجديد مختلفا بعض الشيء عن الأدب المقارن واقرب ما يكون إلى ما يمكن وصفه بفلسفة الأدب، ومع هذا فقد وقع الكثير من الباحثين في التباس حول هذا المفهوم، لأن الحدود الفاصلة بينه وبين الأدب القومي من جهة والأدب المقارن من جهة أخرى ليست واضحة تماما، إن الأدب العام يترك " للأدب القومي دراسة كل ما كان مغرقا في المحلية، ولا صلة له بما يجري خارج حدود لغته، وليس له صدى خارج قومه ... ويدع للأدب المقارن دراسة مابين أدبين قوميين من علاقات واتصالات والمصادر الأجنبية والترجمة ... وإذن فهو لا يحل محلها وإنما يمشي وراءهما ويبني دراسة أخرى مختلفة في تركيبها تستهدف أصلا وفي المقام الأول إبراز الأسباب العامة للظواهر الأدبية " [16] ومن هنا يمكننا القول أن الحيز الذي يتحرك فيه الأدب العام هو كل ما يعنى بالظواهر الأدبية الجماعية والعالمية.

---

[14]- الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه ،ط1، دار المعارف، امصر، 1984،،ص614.

[15]- المرجعنفسه، ص614.

[16]- المرجع نفسه، ص616.